التوسع الروسي في الدولة العثمانية 1774-1917

م.م عبد الكريم علي حمادي أبو رقيبة م.م كاظم جواد أحمد

جامعة المستنصرية/كلية التربية

المقدمة:

تكاد تكون روسيا قارة أكثر منها دولة بحكم مساحتها الشاسعة وعدد سكانها الكبير، وهذا ما جعل منها بكل المقاييس دولة كبيرة، وان افتقدت بعض المقومات التي سبقتها إليها بقية الدول الاوروبية، وفي هذا البحث المعنون" **التوسع الروسي في الدولة العثمانية 1774-1917**" يتناول علاقات روسيا القيصرية قبل ثورة أكتوبر ودورها في التنافس على السيادة في أوروبا وصراعها مع الدول الأوروبية والدولة العثمانية بحكم تقاطع المصالح والرغبة في التوسع والنفوذ. فضلاً عن دورها في مواجهة الحركات الثورية في اوروبا، ومن ثم توجهاتها نحو القفقاس ودول البلقان. وتغير طبيعة العلاقات الدولية وشكل الصراع الدولي ومضمونه. بعد أن نشأت مفاهيم ورؤى جديدة سواء في روسيا القيصرية أم في بقية دول العالم، واتجاه التحالفات الدولية واصطفافها بالشكل الذي مهد الأرض ووفر الأجواء المقضية للحرب العالمية الأولى.تناول البحث لمحة موجزة عن روسيا والأساليب التي اتبعها القياصرة لأجل اقتطاع هذا الجزء أو ذلك من أراضي الدولة العثمانية كما تطرقنا إلى دور الدول الأوروبية في تأخير نهاية الدولة العثمانية بسبب تضارب مصالحها.

اعتمد البحث على مصادر عدة أجنبية مترجمة ومصادر عربية, درست وبحثت في التاريخ الأوروبي وتاريخ روسيا قبل ثورة اكتوبر وبعدها، فضلاً عن تاريخ الدولة العثمانية. وذلك للإحاطة بموضوع البحث على قدر الاستطاعة.

الأطماع الأوروبية في الدولة العثمانية:

سعت الدول الأوروبية الكبرى بالتمزيق التدريجي للدولة العثمانية وبدا التنافس واضحاً فيما بينها بهدف فرض سيطرتها أو نفوذها على أوروبا والبلدان الواقعة على الجانب الشرقي للبحر المتوسط وعلى ضفافه الجنوبية فالروس يرغبون بحماية الارثوذكس والسلاف ومد نفوذهم للسيطرة على البلقان والوصول إلى البحر المتوسط.

والبريطانيون كانوا يسعون لحماية طريق الهند ومن ثم الاستحواذ على الممر الذي يفصل البحر المتوسط عن المحيط الهندي. والفرنسيون يريدون الدفاع عن مواقعهم التجارية والثقافية لدى مسيحيي الشرق ويجدون أنفسهم في تعارض ،وبحسب الظروف، مع الروس تارة أو مع البريطانيين تارة أخرى. أما النمساويين فأنهم يحاولون اقامة سد أمام التوسع الروسي في البوسنة

والهرسك ويأتي في نهاية المطاف الألمان الذين يهتمون بالدولة العثمانية من منظور "سياسة الاندفاع نحو الشرق" [1].

يعد مطلع القرن السابع عشر بداية التوسع الروسي ومحاولة الأخيرة مضاعفة نفوذها في الدولة العثمانية أما عن طريق التوسع الإقليمي أو بالسيطرة على مضيقي البسفور والدردنيل أو بخلق حق لها بالتدخل في شؤون الدولة العثمانية[2].

لمحة موجزة عن روسيا وبدايات توسعها في الدولة العثمانية:

يعد بطرس الأكبر (1682–1725) المؤسس الحقيقي لدولة روسيا الحديثة، فقد تولى الحكم في عام 1682 وكان صبياً لم يبلغ سن الحلم حتى إذا بلغ سن السابعة عشر من عمره انفرد بالحكم انفراداً تاماً بعد أن أقصى أخيه عن الوصاية[3]. وبعد ان استقر له المقام في رئاسة روسيا عام1689 ظهرت ملامح التسلط واضحة عليه[4] فهو شديد التمسك بوضع كل السلطات تحت يديه ولم تكن الكنيسة بمنأى عن هذا التسلط وفي سنة 1700 تمكن من تعيين لجنة من الأساقفة واختار لهم اسم هو "المجمع المقدس" وعين لهذا المجمع وكيلاً مدنياً يسيطر عليه وكانت مهمته جعل رجال الدين خاضعين للقيصر يأتمرون بأمره وبهذا أصبح القيصر على رأس الكنيسة كما هو الحال في بريطانيا وفرنسا عندما أصبح الاشراف الدنيوي على الدين قاعدة يتبعها بعض ملوك أوروبا ولاسيما في الدول البروتستانتية[5].

لقد كانت روسيا بحاجة إلى طرق المواصلات البحرية لكي تتطور بسرعة كبيرة حيث أكد بطرس الأكبر قائلاً: "ان روسيا بحاجة إلى البحر" وكانت الدولة العثمانية تسيطر على البحر الأسود، والسويد الجارة القوية تسيطر على بحر البلطيق، كما واحتل الإقطاعيون السويديون في بداية القرن السابع عشر الأراضي الروسية في حوض البلطيق فكان البحر بالقرب من روسيا إلا أن الوصول اليه كان متعذراً[6].

إزاء ما تقدم قرر بطرس الأكبر وضع ثلاثة أهداف أمام عينيه والمتمثلة بامتلاك أراضي أوكرانيا وبيلوروسيا وثانياً إيجاد منفذ إلى بحر البلطيق وثالثاً الوصول إلى البحر الأسود والاستيلاء على الأراضي العثمانية المتاخمة له[7].

بدأت الانظار تتجه نحو الدولة العثمانية فبدأت أولى حملاته على أزوف،ذلك الحصن العثماني المنيع عند مصب نهر الدون، وتمكن في عام 1696 من أن يجني ثمار صبره بالاستيلاء على آزوف فكان أول انتصار يحرزه بطرس الأكبر على العثمانيين[8].

أدت حرب الوراثة الاسبانية وتأزم الوضع الدولي في أوروبا إلى إجبار القيصر الروسي للاشتراك بمحادثات الصلح التي جرت في مؤتمر كارلو فاتز (1698–1699) وانتهت هذه الحرب بتوقيع معاهدة الصلح بين روسيا والدولة العثمانية في اسطنبول عام 1700 والتي

استولت روسيا بموجبها على آزوف وناجافروج ومناطق أخرى وحصولها على الامتيازات في الدولة العثمانية[9].

سرعان ما تجددت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا في أعقاب اعتلاء كاترين الثانية (1762–1792) العرش الروسي واستمرت هذه الحرب عدة اعوام(1768–1774) فوقفت إلى جانب الدولة العثمانية[10] النمسا وفرنسا بسبب مخاوفهما من تزايد النفوذ الروسي في الدولة العثمانية، هذا فضلاً عن رغبة الدولة العثمانية بالمحافظة على ممتلكاتها في مناطق البحر الأسود وتوسيع أراضيها، ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، على حساب الأراضي الروسية والأوكرانية والبولندية[11].

سارت العمليات الحربية بانتصارات تتحول من جانب إلى آخر وفي عام1773 مني العثمانيون بهزيمة كبيرة في نورتوكاي وبعد ذلك عبر الجيش الروسي نهر الدانوب وأحرز العديد من الانتصارات الكبيرة[12].

بعد ان منيت القوات العثمانية بهزائم كبيرة اضطرت إلى إجراء المفاوضات السلمية، والتي واجهتها صعوبات كبيرة، إلا أنها تمخضت في نهاية الأمر عن توقيع معاهدة كجك كينارجة عام 1774 ، على ان العلاقات الشخصية كانت لها الدور البارز في ذلك، خاصة بين فردريك الثاني ملك بروسيا والإمبراطورة الروسية، فقد كان فردريك الثاني متخوفاً من أن تؤدي الحرب الروسية – العثمانية إلى امتداد لهيبها داخل أوروبا نفسها فتكتوي هذه الدول بشررها ونيرانها كما وشعر دبلوماسيي النمسا ان الدولة العثمانية الضعيفة جداً أقل إثارة للمشاكل من الدول الأوروبية التي تقف على رأسها كاترين الثانية[13].

رأت النمسا خلال محادثات السلام ضرورة اشراك العثمانيين كعضو في "التوازن الأوربي" الأمر الذي يشير صراحة ان الدولة العثمانية لم تعد قوة معادية من حيث المبدأ بل هي دولة شرعية على قدم المساواة مع الأعضاء الآخرين في النادي الأوروبي إلا أن كاترين الثانية، ورغبة منها، في تقسيم هذه الدولة اعترضت على هذا الاقتراح محتجة بأنها لا تستطيع التخلي عن مسيحيي البلقان[14].

تمخضت عن هذه المعاهدة العديد من النتائج المفيدة لروسيا والمضرة، بطبيعة الحال، للدولة العثمانية فبموجب هذه المعاهدة انتقلت الى روسيا الأراضي الواقعة بين بوغ الجنوبي والدنيبر مع قلعة كينبورن وكذلك قلعتا كيرتش وينيكاله عند بحر آزوف وفي شمال القفقاس أصبحت كاباردا من نصيب روسيا واعترفت الدولة العثمانية باستقلال خانات القرم وبحق المرور الحر للسفن الروسية عبر مضيقي البسفور والدردنيل[15].

كانت هذه المعاهدة بداية النهاية للنفوذ العثماني على شبه جزيرة القرم، وفي عهد كاترين الثانية دخلت شبه جزيرة القرم تحت النفوذ الروسي[16]. وتحديداً في عام 1783 فكان فقدان الدولة العثمانية لهذه الأراضي بالنسبة لرعاياها أشبه ما تكون "اهانة وجهت لهم" هذا فضلاً عن تراكم الخسائر كما وأصبح بإمكان السفن الروسية الوصول إلى البحر الاسود والذي يمكن القول عنه بأنه،"بحيرة عثمانية مشددة الحراسة" [17].

من ناحية أخرى نصت المعاهدة على عودة ولاكيا وملدافيا إلى الدولة العثمانية على ان تمنحا حقوقاً إضافية جديدة وعلى ان يكون للسفراء الروس الحق للدفاع عنهما امام السلطات العثمانية الأمر الذي يعني التدخل الروسي المباشر بالشؤون الداخلية للدولة العثمانية لاسيما وان هذه المعاهدة أقرت لروسيا الحق بالتحدث باسم رعايا السلطان المسيحيين[18].

رأت الدولة العثمانية في سكوتها على قيام روسيا باحتلال شبه جزيرة القرم حلاً مؤقتاً تفرضه عليها الظروف الصعبة التي كانت تعيشها الدولة العثمانية ورأت ان ساعة استعادة هذه الأراضي المسلوبة مرهون بالظروف الدولية والداخلية وقد أزفت ساعة الصفر التي كانت تنتظرها الدولة العثمانية لإعادة هذه الأراضي السليبة إلى أحضان الوطن الأم فقد استغلت الدولة العثمانية مناسبة زيارة الإمبراطورة كاترين الثانية وبرفقتها الامبراطور النمساوي جوزيف الثاني، الى شبه جزيرة القرم لتعلن الحرب على روسيا بعد ان رفضت الأخيرة طلب الدولة العثمانية بحل الخلافات بينهما بالطرق السلمية فاعلنت الحرب في آب 1787[19] وقد استمرت الحرب ما يقارب الخمس سنوات، دخلتها العديد من الدول الى جانب الدولتين المتحاربتين، طالبت الدولة العثمانية خلالها باستعادة القرم اما الحكومة الروسية فقد كانت بدورها تطمح في تعزيز موقعها في البحر الاسود نهائياً، جرت خلال اعوام الحرب العديد من المعارك الا ان اهم هذه المعارك هي المعركة التي استطاعت بأثرها القوات الروسية من احتلال قلعة إسماعيل، القاعدة العسكرية العثمانية على نهر الدانوب[20].

لم يؤد اعتلاء السلطان سليم الثالث (1789–1807) العرش العثماني الى تغيير مسار الحرب فقد احتلت روسيا الافلاق والبغدان (رومانياوملدافيا) كما واستطاعت النمسا، الداخلة حربها الى جانب روسيا، ان تحقق نجاحاً واضحاً في صربيا والبوسنة ثم استولت على بلغراد وبسبب تحرج موقف روسيا والنمسا بفعل عوامل خارجية وداخلية، فقد دفعت هاتين الدولتين الى طلب عقد الصلح فعقد الصلح مع النمسا في زشتوي بعد مساومات طويلة، في 4 آب 1791 وبعد ان رأت روسيا نفسها أنها باتت وحدها في هذه الحرب تمكن مندوبو الطرفين، بعد مفاوضات مطولة وصعبة، ان يوقعوا في ياسي على معاهدة للصلح في 10 كانون الثاني 1792 على ان تتخلى الدولة العثمانية بشكل قاطع عن مطالبها باستعادة القرم وتتخلى عن اوزي لروسيا

ايضاً كما، وأكدت المعاهدة على سريان مفعول المعاهدات السابقة التي جرى عقدها بين الدولتين وأعادت روسيا للدولة العثمانية (الافلاق ،البغدان، بندر، اسماعيل، كيلي، آق كرمان، وبوصاق) التي استولت عليها روسيا خلال الحرب[21]. وبذلك انتهت هذه الحرب بنصر واضح لروسيا وبمكاسب إقليمية لا يستهان بها[22].

مكاسب روسيا بعد هزيمة نابليون

بعد اندحار نابليون في معركة الأمم في 19تشرين الاول 1813، تعهدت الدول الاوروبية المنتصرة ، بريطانيا والنمسا وروسيا وبروسيا ، بالعمل معاً حتى اسقاط نابليون [23]. وجاءت تسوية مؤتمر فيينا في 9حزيران 1815 في صالح روسيا القيصرية ،اذ حصلت على القسم الاكبر من بولندا وبقيت غاليسيا البولندية في حوزة النمسا ، اما بوزن والممر البولندي فاحتفظت بهما بروسيا. وقد اطلق القيصر الروسي الكسندر الاول(1801–1825)على الجزء الذي حصل عليه من بولندا اسم (بولندا المؤتمر) Congress Poland ، واعداً بإعادة تنظيمها ومنحها دستوراً حراً[24]. وأصبح الكسندر ملكاً عليها، ولمدة خمسة عشر عاماً. وبذلك فقد تحول مركز الثقل لكل من روسيا وبروسيا الى جهة الغرب ، فبالنسبة الى روسيا الى ما يقرب من نهر الاودر، وبالنسبة الى بروسيا الى حدود فرنسا ، اما بريطانيا فقد وجدت ان الغاية من مؤتمر فيينا هو كبح جماح روسيا، وانهم لم يحاربوا الامبراطور الفرنسي ليتركوا اوروبا تسقط في يدي القيصر الروسي . لذا فانهم استبقوا الأحداث ووقعوا مع النمسا وفرنسا على معاهدة سرية في 3 كانون الثاني 1815 تعهدوا فيها بدخول حرب ضد روسيا وبروسيا اذا اقتضت الضرورة[25].

قدم القيصر الروسي الكسندر الأول في شباط عام 1815 اقتراحاً بتكوين حلف مقدس، يقضي بان الملوك اخوان في دين الله، وعليهم واجب التعاضد وحفظ السلام حسب التعاليم المسيحية واخضاع العلاقات الدولية فيما بينهم استناداً الى مبادىء الدين المقدس والعدالة والاحسان والسلم . ونجح في كسب بروسيا والنمسا الى صفه ، ثم تبعتهما باقي الدول الأوروبية باستثناء بريطانيا وتم التوقيع عليه في 26ايلول 1815[26].

لقد فضلت بريطانيا الانضمام الى تضافر اوروبي Concert of Europe أكثر انسجاماً مع توجهاتها، وضم في عضويته معها، روسيا والنمسا وبروسيا، وعرف ايضاً باسم التحالف الرباعي Quadruple Alliance ، ترتبط بموجبه هذه الدول بالعمل على صيانة السلام الأوروبي عن طريق عقد اجتماعات لممثليها للبحث في مصالحها المشتركة والسلام والأمن الأوروبيين[27] .

طمحت روسيا القيصرية الى تعزيز مواقعها في الشرقين، الأدنى والأوسط. وكان أهم هدف لها هو إغلاق مضيقي البسفور والدردنيل ، اللذان تسيطر عليهما الدولة العثمانية ، بوجه

السفن الحربية الأجنبية وتأمين منفذ حر لسفن روسيا الى البحر المتوسط . كما سعت روسيا الى الاستيلاء على مواقع قوية في شبه جزيرة البلقان عن طريق استغلال شعوبها من اليونان والبلغار والصرب و الرومان ونزوعهم للاستقلال والتخلص من الهيمنة العثمانية، إلا ان المساعي الروسية صدت بالجهود التي قامت بها بريطانيا وفرنسا وعرقلتا بكل الوسائل توطيد مواقع روسيا في البلقان[28] .

لقد استخدمت روسيا الارثوذكس التابعين للدولة العثمانية كذريعة للتوسع نحو الأراضي العثمانية، وهذا ما حاول قيصر روسيا التستر وراءه . وكان يبدو واضحاً ان مسألة الممرات تزداد أهمية بالنسبة الى روسيا، وذلك لان صادرات روسيا من الحبوب من ميناء اوديسا على البحر الاسود كانت في ارتفاع مطرد، وتنقل بواسطة السفن التجارية اليونانية، وقد تأثرت تجارة الحبوب حينما ضيقت الدولة العثمانية على التجارة عبر الممرات عندما اندلعت الثورة في اليونان في عام 1822، لذا بادر القيصر الروسي الكسندر للتحرك لكسب الدول الأوروبية الى صفة في مواجهة العثمانيين ولكن جهوده باءت بالفشل، فقد ضغطت كل من النمسا وبريطانيا عليه من اجل تجنب اندلاع مجابهة أوروبية بسبب المسألة الشرقية. في حين استطاعتا من إرغام الباب العالي على إخلاء أقاليم الدانوب، وتقليل القيود المفروضة على التجارة الروسية عبر المضايق[29].

ولغرض تشتيت جهود روسيا وأشغالها عملت بريطانيا على خلق جبهة جديدة مستغلة المشاكل والتنافس مع بلاد فارس ، فشجعت الشاه على اعلان الحرب على روسيا واندفع فتح علي شاه الى الحرب بعد اضطراب الأوضاع في روسيا عقب وفاة الكسندر الأول في 19 تشرين الثاني 1825. إذ تفجرت انتفاضة في العاصمة بطرسبورغ وفي اوكرانيا، ولم يستطع الشاه ان يدرك حقيقة الوضع ، لاسيما ان البريطانيين صوروا له الأحداث على غير حقيقتها بان ماحدث جعل الأوضاع في روسيا في حالة من الضعف لا تستطيع معها ان تجابه بلاد فارس في الحرب . وبدأت الحرب يوم 16 تموز 1826، حققت القوات الفارسية باندفاعها سلسلة من الانتصارات المتوالية[30] .

الا ان القوات الروسية استطاعات فيما بعد ان تلحق هزيمة كبيرة بالجيش الفارسي وتتقدم الى عمق بلاد فارس. وفرضت روسيا شروطاً لعقد الصلح، منها فصل ارمينيا الشرقية عن بلاد فارس وإلحاقها بروسيا، فضلاً عن حرمان بلاد فارس من حق تواجد اسطولها الحربي في بحر قزوين وبذلك وطدت روسيا اقدامها فيما وراء القفقاس[31]. وتم التوقيع على معاهدة الصلح في 22شباط 1828 بين ولي العهد الفارسي عباس مرزا والجنرال الروسي باسكوفينش والتي عرفت باسم (تركمانجاري) [32].

في 6 تموز1827 ابرمت معاهدة لندن بين بريطانيا وروسيا وفرنسا ، وقد نصت على التدخل بفرض حصار بحري سلمي لانشاء دولة يونانية متمتعة بالحكم الذاتي تحت سيادة السلطان العثماني، وتعد هذه المعاهدة الاساس الحقيقي لاستقلال اليونان الذي اصبح رسمياً في عام 1831[33]. اذ ان الحرب بين روسيا والدولة العثمانية اندلعت في ربيع عام 1828 بعد انتهاء الحرب مع بلاد فارس ، وجرت العمليات على جبهتين في البلقان وفي ما وراء القفقاس ، واستطاع الجيش الروسي اجتياز سلسلة جبال البلقان في عام1829 واستولى على مدينة ادرنة وأصبحت العاصمة اسطنبول مهددة. لذا طلب السلطان العثماني الصلح وعقد صلح ادرنة الذي حصلت روسيا بمقتضاه على مصب الدانوب والساحل الشرقي للبحر الاسود كله، "واعترفت الدولة العثمانية بما ظفرت به روسيا في القفقاس وباستقلال اليونان، وأكدت الحكم الذاتي لصربيا، وتعهدت بمنح مولدافيا وفالاشيا الحكم الذاتي" [34].

وفيما كان نيقولا الاول (1825–1855) يعد العدة للتحرك باتجاه فرنسا بعد اندلاع الثورة فيها عام 1830، جاء التحدي الجديد لروسيا من بولندا حين قام عدد من الضباط وملاك الأرض بعصيان وقبضوا على زمام الأمور فيها متحدين الإمبراطورية الروسية، فأرسل القيصر قواته التي خاضت مع الثوار معارك عديدة واستطاعت ان تخمد العصيان في شهر تشرين الثاني 1831. ونتيجة لهذا انتهت بولندا التي أقامها مؤتمر فيينا ، واصبحت ولاية تابعة للحكم الروسي[35].

ان تطلع روسيا القيصرية تجاه البلقان والمضايق جعلها تبادر الى نجدة الدولة العثمانية عندما هزمت جيوشها امام جيش محمد علي باشا حاكم مصر الذي استطاع بقواته ان يهدد اسطنبول نفسها، فاستنجد السلطان العثماني محمود الثاني(1808–1839) بروسيا واستجاب القيصر وأرسل جيشاً للدفاع عن اسطنبول، وهذا ما دفع بريطانيا وفرنسا الى الضغط على السلطان للقبول بمطالب محمد علي باشا، وذلك خوفاً من ان تصبح الدولة العثمانية فريسة لروسيا . اما القيصر، فقد فرض على السلطان العثماني معاهدة هنكارا اسكلسي عام 1833، وبموجبها أصبحت روسيا حامية وحليفة للدولة العثمانية مقابل اغلاق المضايق في وجه اعداء روسيا وفتحها للأساطيل الروسية عند الحاجة، وفي عام 1839 تجددت الحرب بين الدولة العثمانية ومحمد علي الذي تقدمت قواته المنتصرة باتجاه اسطنبول ايضاً، فذعر وزراء السلطان واستنجدوا بالدول الاوروبية التي بادرت جميعها هذه المرة خوفاً من ان تنفرد روسيا بحل الخلاف، واستطاع الحلفاء هزيمة جيش محمد علي وفرض معاهدة لندن عليه في15 تموز1840 ، وأصبحت الدولة العثمانية تحت حماية خمس دول بدلاً من روسيا لوحدها [36].

امام الخطر الماثل في وجه الأنظمة الأوروبية الذي يمكن ان يوجه لها ضربات في الصميم ويسقط عروشها بعد تنامي روح الثورة والتغيير نتيجة السخط وسوء الأوضاع الداخلية فيها، أقدمت الامبراطويات الثلاث روسيا وبروسيا والنمسا في عام 1833 على تكوين تكتل أقرب إلى الحلف الرسمي أطلق عليه "البلاطات الشمالية الثلاثة"، وذلك للمحافظة على الوضع الراهن ومناهضة تغيير الحدود من جهة، ومن جهة أخرى يعارض التنازلات الدستورية داخل هذه الدول، وعدّوا الليبرالية خطرا على الاستقرار الدولي، واستند هذا الحلف الى معاهدة صاغ بنودها مترنيخ رئيس وزراء النمسا سميت بمعاهدة فيشنيغراتز، تضمنت ثلاث اتفاقيات، الزمت الأولى روسيا والنمسا بحماية الوضع القائم في الدولة العثمانية والعمل المشترك إذا ظهر هناك وضع جديد يستوجب ذلك، وأعطت الثانية روسيا والنمسا ضمانات متبادلة بخصوص أراضيهما في بولندا، ووعدتا بتقديم المساعدة المتبادلة في حالة قيام ثورة، اما الثالثة فقد نصت على رفض الدول الثلاث مبدأ عدم التدخل إذا كان طلب المساعدة ضد الليبرالية جاء من ملك مستقل[37].

ولهذا فأن موقف روسيا من القضية البولندية ينسجم مع اصطفافها مع بروسيا والنمسا إذ أن حكامها يعتقدون بأن إعادة بولندا المستقلة الى الوجود معناه نهاية روسيا كدولة عظمى، لذا هدد الروس بالتدخل إذا حدثت حركة بولندية خطيرة في بولندا البروسية او في غاليسيا[38]، وكان مجلس الوزراء الروسي قد اتخذ قراراً في مايس 1848بأن بولندا والدولة العثمانية قضيتان مهمتان لروسيا[39].

لقد وصف قيصر روسيا في عام 1844 الدولة العثمانية بأنها "رجل أوروبا المريض" وقبيل اعلان حرب القرم طرح فكرة اقتسام ممتلكاتها مع بريطانيا[40].

وصفت حكومة نيقولا الأول بأنها "قطب الرحى للاستبداد في العالم"، إذ وقفت إلى جانب النمسا , وإعانتها على إخضاع هنغاريا عام 1848، ثم ساندتها في مواجهة بروسيا، وكانت بريطانيا تخشى المطامع الروسية في الشرق لأن في ذلك تهديد لمصالحها[41].

ان خوف النظام القيصري من تسرب الثورة إلى غاليسيا ومن ثم تجدد المشكلة البولندية كلها، كان وراء تدخلها في هنغاريا، فضلا عن خشيتها على مصالح روسيا في الدولة العثمانية، وتحسباً من انتشار الثورة الى ولايتي الدانوب مولدافيا وولاكيا، أقدمت على احتلالهما في تموز 1848، وعقدت معاهدة مع الدولة العثمانية، نصت على احتلال مشترك للولايتين حتى يستتب الأمن[42].

حرب القرم :

في عام 1852م نشب نزاع بين الرهبان الارثوذكس والكاثوليك بصدد حماية الأماكن المقدسة في بيت المقدس، واستمد هذا النزاع أهميته من مساندة قيصر روسيا لمطالب الارثوذكس، في حين وقف نابليون الثالث إمبراطور فرنسا وراء الكنيسة الكاثوليكية في حمايتها للأماكن المقدسة[43]، وقام القيصر الروسي بإرسال بعثة خاصة الى اسطنبول في شباط 1853لكي يثبت للرأي العام الروسي اهتمام القيصر الحقيقي بالأماكن المقدسة وكانت البعثة تريد فرض الحماية الروسية على الارثوذكس في الدولة العثمانية، وادعوا ان ذلك يستند الى معاهدة كجك كينارجة لعام 1774[44].

أمام رفض السلطان العثماني للمطالب الروسية، وجد قيصر روسيا ان الوقت حان لحل المسألة الشرقية، وتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية وتوطيد نفوذ روسيا في شبه جزيرة البلقان، وفي المضايق لتحقيق تفوق روسي وهيمنة عكسرية، إلا ان ذلك اصطدم أيضا بمصالح بريطانيا في الشرق الأدنى والبلقان. لذلك دفعت الباب العالي الى الحرب على أمل دحر روسيا والتخلص من منافس لها، كما ان امبراطور فرنسا كان بحاجة الى حرب ناجحة لتوطيد سلطته، وكانت النمسا تطمح هي ايضاً إلى أن تحقق مكانة مؤثرة في البلقان وابعاد نفوذ روسيا عنها، لان ذلك يهدد سلطتها على الشعوب السلافية الخاضعة للإمبراطورية النمساوية[45].

بدأت حرب القرم في بداية شهر تشرين الاول عام 1853 عندما توجهت القوات الروسية نحو الدانوب واحتلت مقاطعتي الافلاق والبغدان. وأعلنت الدولة العثمانية الحرب على روسيا في 4 تشرين الأول، وبدأتها بإطلاق النار على الجنود الروس الذين عبروا نهر بروث،ورد الروس بتدمير الأسطول العثماني في البحر الاسود وإغراقه على مقربة من سينوب المرفأ العثماني المعروف [46].

أثار إندحار القوات العثمانية القلق لدى الدول الأوروبية، وسارعت بريطانيا وفرنسا إلى ارسال أسطوليهما الى البحر الاسود في آذار 1854، ودخلتا الحرب بشكل علني الى جانب العثمانيين. واتضح ان حسابات القيصر نيقولا الأول في عزل الدولة العثمانية تخالف الواقع، فقد حشدت النمسا جيشا ضخما على حدودها مع روسيا مهددة بالحرب، ثم وجهت انذارا الى روسيا بسحب قواتها من امارات الدانوب، ورضخت روسيا مضطرة وأبعدت قواتها الى ما وراء نهر بروث، وبدأت قوات الحلفاء بالاندفاع لاحتلال شبه جزيرة القرم، وبعد حصار استمر حتى آب 1855 لمرفأ سيباستبول تمكن الحلفاء من اقتحام خطوط دفاعها والسيطرة عليها، وبذلك تقرر مصير الحرب، إذ اصبحت الامبراطورية الروسية مهددة بالانهيار، واضطرت معها الى طلب الهدنة والتفاوض[47].

كانت بريطانيا وفرنسا قد اعلنتا بعض النقاط تبين أهدافهما من دخول الحرب تشمل حرمان روسيا بعد هزيمتها من نفوذها في البلقان، ومنعها من أبقاء سفن حربية في البحر الاسود[48]، وجاءت معاهدة باريس التي وقعت في 30 آذار 1856 منسجمة مع تطلعات الحلفاء قبل الحرب[49].

تضمنت المعاهدة البنود الآتية[50]:

1. حياد البحر الاسود فلا يسمح لسفن الحربية البقاء فيه.
2. المحافظة على كيان الدولة العثمانية.
3. قيام السلطان العثماني ببعض الاصلاحات في حكومته وفي وضع الرعايا المسيحيين فأصدر في عام 1856قرارا يعلن فيه الحرية والمساواة بين شعبه مهما اختلفت ديانتهم، ويلغي الجزية، ويسمح للمسيحيين بدخول الجيش وبإرسال ممثلين عنهم الى المجالس.
4. حرية الملاحة في نهر الدانوب (الطونة).
5. تحل الدولة الأوروبية محل روسيا في حماية الافلاق والبغدان.

وبذلك أكدت هذه المعاهدة استقلال الدولة العثمانية، وفتح الباب لها للانضواء ضمن المجموعة الدولية، لأجل أن تكون حاجزاً امام مطامع روسيا في البلقان، كما ان المعاهدة ضربت توجهاتها في الصميم وقضت على جهودها للاستيلاء على الشرق لمدة طويلة.

لقد أشار لينين[51] إلى أن "حرب القرم قد أظهرت عفونة وعجز روسيا القنانة" [52] وتبين ان تخلف روسيا العسكري والاقتصادي والسياسي هو سبب هزيمتها وانه لابد من تصفية نظام القنانة وفسح المجال لتطور البلاد، لذا قام الكسندر الثاني بإصلاحاته بعد الحرب ومنها إلغاء الرق[53].

تأثير نتائج حرب القرم على السياسة الخارجية الروسية :

أصبحت روسيا في أعقاب الحرب في عزلة خارجية، فقد حرمتها معاهدة الصلح من حق امتلاك اسطول حربي وحصون على البحر الاسود، واصبحت حدودها الجنوبية غير محمية، لذلك كان الهدف الأول لسياستها الخارجية العمل على إلغاء الشروط المجحفة بحقها التي تضمنتها معاهدة باريس، وأولها البنود المتعلقة بحياد البحر الاسود، ولأنها لا تمتلك القوة العسكرية الكافية لخوض حرب جديدة فإنها سعت لتحقيق مآربها بالطرق الدبلوماسية، مستغلة التناقضات بين الدول الأوروبية الكبرى، وفي عام 1870 وزعت الخارجية الروسية مذكرة على الدول الأوروبية توضح فيها ان روسيا لا تستطيع ان تلتزم بتنفيذ بنود معاهدة باريس لان الدول الأخرى خرقتها، ثم تقدمت بطلبها الى المؤتمر الدولي في لندن عام 1871الذي وافق على

الطلب الروسي، وبذلك أصبح بإمكان روسيا ان تعيد إنشاء الحصون على شواطئ البحر الاسود وتعيد بناء اسطولها البحري هناك(54).

استفادت روسيا في تقوية موقعها بوجه بريطانيا وفرنسا بتحالفها مع المستشار الألماني بسمارك وأثمر التحرك الروسي باتجاه النمسا والمانيا، بعد وحدة الاخيرة، فعقد اجتماعاً ضم الأباطرة الثلاثة في برلين عام 1872، واتفقوا على المحافظة على الوضع السائد في اوروبا، والعمل معاً لحل مشكلات البلقان، وكبح التوجهات الاشتراكية والثورية، والسعي في سبيل الإصلاح(55).

في عام 1874 عانى البلغار من أزمة اقتصادية أشعلت فتيل الاستياء والسخط على الهيمنة العثمانية، فقامت ثورة في البوسنة والهرسك في العام التالي، كما اعلن البلغار العصيان مطالبين بالاستقلال وقتلوا الموظفين الاتراك، ثم انتقل لهيب الثورة الى الصرب والجبل الاسود واعلنوا الحرب على الدولة العثمانية عام 1876م، وطالبت شعوب البلقان مساندة الدول الأوروبية، إلا أن بريطانيا خشيت من تطورات الحالة المتفجرة التي قد تؤدي الى طلب العناصر السلافية الانضمام الى روسيا، وكان البريطانيون يعتقدون ان من صالح تجارتهم الوقوف بوجه أية انتفاضة تؤدي الى هدم الدولة العثمانية مما يفسح المجال لتدخل دول أوروبية قوية كالنمسا أو روسيا(56).

استطاع الجيش العثماني السيطرة على الوضع بعد اندحار الجيش الصربي وجيش الجبل الاسود، ووجدت الحركة التحررية للسلاف مساندة ودعم من روسيا، فبدأت حملة للتبرعات والتطوع مع الجيش الصربي، اما الحكومة الروسية فقد شاب التردد موقفها في البدء لخشيتها من نزاع دولي جديد وهي غير مستعدة لحرب كبيرة، لذا حاولت ان تضغط بالطرق الدبلوماسية على الدولة العثمانية لتقديم تنازلات لصالح السلاف، واعلنت التعبئة الجزئية لدعم موقفها، فوقعت الدولة العثمانية الصلح مع صربيا، في حين واصل الجبل الأسود القتال، واقترحت روسيا تسوية سلمية للنزاع، إلا أن العثمانيين رفضوا ذلك بتأثير من بريطانيا، فأعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية في نيسان 1877، بعد أن أدركت ان استمرار ترددها يعني العجز وخسارتها النهائية لنفوذها بين الشعوب السلافية، وفي شهر أيار دخلت رومانيا الحرب الى جانب روسيا، وجرت العمليات العسكرية في البلقان وفي ما وراء القفقاس، وفي صيف 1877 اجتاز الجيش الروسي نهر الدانوب ودخل العاصمة البلغارية القديمة (ثيرنوف) إلا ان فشل الروس في توسيع نطاق عملياتهم الحربية في ما وراء البلقان لم يثنهم عن مواصلة القتال، واستطاعت قواتهم في بداية العام 1878م من دخول مدينة أدرنة، وأصبحت الطريق إلى اسطنبول ممهدة، كما سقطت الحصون العثمانية في القفقاس، الأمر الذي جعل الأتراك يطلبون الصلح(57).

تم في آذار 1878 التوقيع على معاهدة سان ستيفانو بشروط فرضتها روسيا تضمنت تكوين دولة جديدة كبيرة مستقلة هي بلغاريا، واعتراف الباب العالي باستقلال الجبل الاسود وصربيا، والاعتراف برومانيا دولة مستقلة، وان تجري الدولة العثمانية إصلاحات في المناطق التي يقطنها المسيحيون داخل الدولة، والإقرار بما حصلت عليه روسيا في بسارابيا ومنطقة قرص في القفقاس وتعويضها مبلغامالياً ضخماً[58]، فكان ذلك نصراً كبيراً لروسيا على الرغم من انه لم يرض طموح القيصر الذي جنح به بعيداً عشية الحرب إذ أبلغ قائد جيشه بأن "هدفنا الاستانة(اسطنبول)، والنصر يسوّي جميع المشكلات، فعندما تحتل الجيوش المدينة من ذا يجرؤ على طردها منها؟"[59].

كان لوقع انهيار الدولة العثمانية أثراً كبيراً على بريطانيا، فسيطرة روسيا على الدولة العثمانية يعني تهديد مركز بريطانيا في الشرق بأسره لاسيما وان روسيا تقدمت باتجاه طريق الهند[60]، لذلك أرسلت أسطولها لاجتياز الدردنيل، ودعت القوات الاحتياطية وطالبت بعرض معاهدة سان ستيفانو على الدول العظمى، ووافقت روسيا مرغمة على عرض المعاهدة وتعديل شروطها،وعقد مؤتمر برلين في حزيران 1878 لتسوية مسألة الشرق الأدنى إنسجاماً مع مصالح بريطانيا والنمسا، وبذلك سلمت البوسنة والهرسك الى النمسا، وتم تقليل مساحة بلغاريا نتيجة إصرار بريطانيا، وعوضت روسيا مقابل ذلك، إذ منحت، بسارابيا مع موافقة الدول الأوروبية على ما احتلته روسيا من أراض وممتلكات في ما وراء القفقاس[61]، وهذا من وجهة النظر الروسية يعني حرمانها من جميع مغانم الحرب[62] اما بريطانيا فقد استولت على جزيرة قبرص بحجة جعلها قاعدة للدفاع عن الباب العالي[63].

لقد أظهر مؤتمر برلين هشاشة اتحاد الأباطرة الثلاثة وعدم جدواه، إذ إنهار مع أول هزة تعرض لها، وتأكد أن التناقضات بين الدول الكبرى والتنافس على المصالح والمكاسب يبقى العامل المحرك وراء السياسات المتقلبة، وليس للاتفاقيات والاحلاف والمعاهدات ثبات دائم حتى وان كانت نتيجة للنيات المخلصة.

في عام 1879 ابرمت النمسا والمانيا تحالفا ثنائياً، ما لبث ان انضمت إليه ايطاليا عام 1882 ليصبح التحالف الثلاثي، وهو موجه في دواعيه ضد روسيا و فرنسا[64]، إذ ان مصالح روسيا والمانيا تباعدت كليا، ورفضت المانيا منح قرض لروسيا ورفعت الرسوم الكمركية على الحبوب الروسية، في حين ظلت العلاقة متوترة مع بريطانيا، ولذلك دافعت روسيا عن المعاهدات السابقة التي ابرمتها مع المانيا والنمسا – المجر لكونها تعادي بريطانيا[65].

أصبح التحالف الثلاثي مغلقاً لكل من روسيا وفرنسا، واتفقت الدولتان عام 1891على قيام تحالف بينهما، وفي عام 1894ابرمتا اتفاقية حربية سرية لمواجهة التهديد الألماني لأي منهما، وللتعبئة العاجلة عند ظهور أول بادرة من بوادر التهديد من قبل دول الحلف الثلاثي[66].

علاقات روسيا وتحالفاتها خلال الحرب العالمية الأولى :

لاستقصاء أوضاع روسيا القيصرية عشية الحرب العالمية الأولى، فأن من المسلم به أن الامبراطورية الروسية هي دولة كبرى، فمساحتها شاسعة وعدد نفوسها كبير يقارب ثلاثة إضعاف نفوس المانيا وأربعة أضعاف نفوس بريطانيا، وكان جيشها الدائمي هو الأكبر بين جيوش أوروبا حتى قيام الحرب العالمية الأولى، فقوامه 1,3مليون جندي في الخطوط الامامية و5 ملايين جندي إحتياط[67].أما من ناحية الواقع العملي والإمكانات الفعلية، فان الجيش الروسي ليست له تلك الاهمية بالنسبة لعدد السكان، فضلا عن كونه بطئ التجنيد، وهناك عوامل ضعف اساسية منها[68] :

1. قلة عدد ضباط الاحتياط نظرا لضعف شأن الطبقة البرجوازية.
2. عدم تجهيز الجيش بصورة كافية، وهذا يرجع الى الصناعة الروسية التي لم تتطور بالمستوى الكافي، وهذا احد أسباب هزيمة عام 1905 امام اليابان.

فضلاً عن ان اسطولي روسيا الموجودان في بحرالبلطيق والبحرالأسود، يفتقران الى الفاعلية بسبب عملهما في بحرين مغلقين ولا يستطيعان الاتصال ببعضهما، اما الصناعة، وهي مؤشر مهم، فقد تزايد إجمالي الإنتاج الصناعي الروسي في المدة (1860–1913)وهي مدة طويلة جداً بمعدل عال سنويا يقدر بـ5%.

وفاق انتاج روسيا من الفولاذ إنتاج فرنسا والنمسا–المجر، وتقدمت كثيرا على ايطاليا واليابان، وزاد إنتاج الفحم من 6 ملايين طن عام 1890 الى 36 مليون طن عام 1914، فضلاً عن كونها ثاني اكبر منتج للنفط في العالم، ووصلت شبكة السكك الحديدية الى 46 الف ميل في العام نفسه، وتبوأت منزلة سادس دولة تجارية في العالم، ومن جانب آخر فان الثلاثة مليون عامل الذين اشتغلوا في المصانع الروسية بحلول عام 1914 لا يمثلون سوى1,75% من عدد السكان، وظلت روسيا متخلفة تكنولوجيا. وقد امتلك الأجانب 90% من صناعة التعدين و 100% من صناعة استخراج النفط و 40% من الصناعة المعدنية و 50% من الصناعات الكيمياوية و 28% من صناعة المنسوجات،فالسمة السائدة اقتصاديا ومهنيا ان روسيا بلد زراعي، اذ اشتغل في الزراعة 80% من السكان، ويعيشون في قرى بدائية وفي ظل ظروف قاسية، اما الانفاق فقد خصصت الحكومة الروسية عام 1913 (970) مليون روبل للقوات

المسلحة، في حين صرفت (154) مليون روبل فقط على الصحة والتعليم، وأضحت معدلات الوفيات في روسيا هي الأعلى في اوروبا[69].

ونتيجة لكون معظم المجندين هم من الفلاحين فقد وضعت الحكومة الروسية في عام 1913 برنامجا لتقوية جيشها، ولم تباشر في تنفيذه بسبب ظروف الحرب، إذ قررت حينها ان تكون زيادة عدد الجنود مثل زيادة التسلح موزعة على أربع سنوات، على أمل ان يبلغ الجيش الروسي كامل قوته في عام 1917[70].

لقد شرع الروس عام 1913 في رص صفوف دول الوفاق الثلاثي أكثر من أي وقت مضى، وسعوا إلى إعادة بناء جبهة البلقان ضد دول وسط أوروبا، واتجهت النية الى تحقيق مصالحة بين بلغاريا وصربيا، والاهم من هذا كله ان الروس أحيوا المسألة البولندية، ففي 20 كانون الثاني 1914 أعلن القيصر :"يجب علينا خلق مصلحة فعلية تربط البولنديين بالدولة الروسية" [71]، كان دأب الروس منصباً على إيجاد حلف منيع مع بريطانيا وفرنسا لكي تتراجع المانيا عن الحرب، بينما أراد الألمان تحدي روسيا قبل ان يقوى الحلف المناهض لهم في وقت كانوا فيه متفوقين عسكريا[72]. ولم تكن الحرب بحاجة سوى إلى من يشعل فتيلها وجاءت الفرصة التي انتظرها البعض وخافها وتحسب لها البعض الآخر، ففي صباح يوم 28 حزيران 1914 اغتيل ولي عهد النمسا الأرشيدوق فرنسيس فرديناند في سراييفو على يد شاب صربي، فاتهمت النمسا صربيا بالتشجيع على مثل هذه الجرائم، ورغبت الامبراطورية النمساوية – المجرية بشن حرب ضد صربيا، وحثت المانيا حليفتها على القيام بعمل سريع لمنع التدخل الروسي الى جانب صربيا[73].

وجهت النمسا في يوم 23 تموز 1914 إنذاراً إلى صربيا للرد على عدة مطاليب تضمنها الإنذار، خلال 48 ساعة، ولأن الرد لم يكن مرضياً للنمسا قامت بتعبئة جزئية لجيشها، وطلبت فرنسا وروسيا من الدول الأوروبية الضغط على الامبراطورية النمساوية – المجرية لإثنائها من مهاجمة صربيا، كما وقفت روسيا الى جانب صربيا، وأكدت أنها ستوافق على التسوية التي لا تتضمن إذلالاً لصربيا كدولة مستقلة وفي 25 تموز أصدرت روسيا أوامرها بالاستعداد للحرب، وأعلمت النمسا بأنها إذا عبرت قواتها حدود صربيا فان الجيش الروسي سيعبأ ضدها، وطلبت من بريطانيا ان تتضامن مع فرنسا وروسيا، وجرت في 26 تموز محادثات بين السفير النمساوي ووزير خارجية روسيا لم تسفر عن نتيجة، إذ أعلنت النمسا الحرب ضد صربيا في 28 تموز وبدأ قصف بلغراد في اليوم التالي[74].

ظنت المانيا والنمسا ان روسيا غير مستعدة للحرب، وانها يمكن ان تقبل القضاء على الصرب بعد ان تحتج بشكل غير فعال، أما إذا إختارت روسيا الحرب فانهما واثقتان من

النصر[75]، فيما أعلن الروس منذ بداية الأزمة انهم لن يسمحوا بتحطيم صربيا، ونصحوها بأن تثق بالدول الكبرى، لذا ردت روسيا على أعلان النمسا الحرب على صربيا، بتعبئة جيشها ضد النمسا، وحاول الالمان إحباط مساعي روسيا، فوجهوا في 29 تموز إنذار حذروا فيه من ان استمرار التعبئة الروسية سيجعلهم يقومون بتعبئة قواتهم ايضاً ، ورد الروس في 30 تموز باعلان التعبئة العامة، وفي اليوم التالي طلب الالمان من روسيا إيقاف جميع الاستعدادات للحرب، وعندما رفضت روسيا طلبهما أعلنت المانيا الحرب عليها في الاول من آب، وطلبت من فرنسا الوقوف على الحياد في حرب المانية – روسية، وعندما ردت فرنسا بأنها ستعمل وفقا لما تمليه عليها مصالحها، إدعت المانيا ان فرنسا تجاوزت الأراضي الالمانية، فاعلنت الحرب على فرنسا في 3 آب[76].افترضت النمسا ان روسيا لن تبدأ العمليات العسكرية ضد غاليسيا مباشرة وأرسلت القوات الاحتياطية المتكونة من 12 فرقة لمقاتلة الصرب، وعندما اتضح لها خطأ تقديراتها وان جيشها يحارب فعلياً امام الروس استدعيت تلك القوات يوم 6 آب 1914 ولكن بعد فوات الأوان[77].

في يوم 4 آب اخترقت الجيوش الألمانية الحدود البلجيكية لغرض مهاجمة فرنسا، وفي اليوم نفسه أرسلت بريطانيا إنذارا الى ألمانيا باحترام حياد بلجيكا التي تعدها خط الدفاع الأول عن بريطانيا، ومع رفض المانيا اعلنت بريطانيا الحرب على المانيا في اليوم التالي، وتوالى مسلسل اعلان الحرب، إذ أعلنت النمسا الحرب على روسيا وبلجيكا في 24 آب، وأعلنت فرنسا وبريطانيا الحرب على النمسا، فيما تضامنت الجبل الأسود مع صربيا في إعلان الحرب على المانيا والنمسا، وجاء ميثاق لندن في أوائل أيلول ليجعل من الوفاق الثلاثي تحالفاً عسكرياً بين روسيا وبريطانيا وفرنسا[78].

أما دخول الدولة العثمانية الى جانب المانيا والنمسا في الأول من تشرين الثاني 1914، فقد عاد بفائدة عليهما هي إغلاق الدردنيل والبسفور امام كل ملاحة نحو روسيا وإعاقة بريطانيا وفرنسا في إمدادهما روسيا بالعتاد والذخيرة، فضلا عن احتفاظ بريطانيا بجيش كبير في البلقان وفي مصر للمحافظة على قناة السويس[79].

كان هدف الروس قطع صلة المانيا بالشرق الأدنى والإمبراطورية النمساوية–المجرية، أما هجومهم على شرق بروسيا فكان من اجل حليفتهم فرنسا[80].

وفي خريف 1914 هاجمت الدولة العثمانية روسيا من دون ان تعلن الحرب عليها ولكن قواتها منيت بهزيمة كبيرة في ما وراء القفقاس[81]، وكانت الدولة العثمانية قد وقعت في 2 آب 1914 حلفا مع ألمانيا ضد روسيا[82].

ارادت بريطانيا كسب الرأي العام الروسي والمحافظة على اندفاع روسيا للحرب، وتعزيز موقفها في مصر لاسيما ان الدولة العثمانية أصبحت في صف اعداء بريطانيا في الحرب، لذا بدأت تبدي استعدادها للإقرار بمصالح روسيا في الدولة العثمانية، وقد تحدث الملك جورج الخامس موجها كلامه الى الدبلوماسيين الروس قائلا : "أما بصدد القسطنطينية(اسطنبول) فمن الواضح أنها يجب ان تكون لكم" [83].

بدأت المفاوضات السرية بين الحلفاء لاقتسام أملاك الدولة العثمانية فقد تم الاتفاق بين بريطانيا وفرنسا وروسيا في آذار 1915 على أن تكون القسطنطينية (اسطنبول)من نصيب روسيا القيصرية ومنح ايطاليا التي دخلت الحرب الى جانب الحلفاء ، عند اقتسام أملاك الدولة العثمانية حصة معادلة لحصة بريطانيا وفرنسا. ولكن سرعان ما أعيد النظر في هذه الغنيمة فبموجب معاهدة لندن المنعقدة في 26 نيسان سنة 1916 تم تعيين حصة فرنسا وروسيا من الدولة العثمانية فحصلت روسيا على ولايات طربزون وارضروم وبتليس ووان ، اما حصتي بريطانيا وفرنسا فتم الاتفاق عليهما بموجب أتفاقية سايكس بيكو الموقعة في آيار 1916[84].

كان لتعثر الخطة الالمانية باجتياح فرنسا واحتلالها، إقدام المانيا على إنشاء مواقع حصينة على طول الجبهة الغربية للمحافظة على تماسكها، وتحول الالمان الى تركيز جهودهم عام 1915 على الجبهة الشرقية، واستطاعوا قطع الجبهة الروسية في غورليس Gorlice، وتمكنوا من السيطرة على بولندا الروسية وفارصوفيا ومعظم لتوانيا وأصبح الجزء الغربي من الإمبراطورية الروسية تحت الاحتلال الالماني، ثم اراد الالمان عقد صلح منفرد مع روسيا لكنهم اخفقوا. حاولت الجيوش الفرنسية والبريطانية القيام بهجوم في آرنوا في 9 ايار 1915 وهجوم على شامبانيا في 25 أيلول، والسيطرة على الدردنيل لفتح المضايق وتموين الجيش الروسي بعتاد الحرب والمؤن لكن جهودهم انتهت الى الفشل[85].

لقد ساد التذمر لدى القوات الروسية بعد اندفاعها الى غاليسيا البولندية،وكان الضباط هناك يرون ان لا نفع يرجى من دحر المانيا، وبدا لروسيا ان السيطرة على المضايق هو الغنيمة الوحيدة التي تستحق القتال من اجلها، إلا أن روسيا لم تكن تملك جيشا كافيا للعمليات الحربية ضد الدولة العثمانية[86]، ومهما يكن من أمر فأن هجوم الجيش الروسي أحبط خطط الحرب الخاطفة الألمانية، إذ لم يستطع الجيش الالماني ان يحقق النصر الحاسم على فرنسا لأن القوات الروسية هددت بدخول أراض المانيا ذاتها[87].

ظلت الجبهة الروسية تثبت قوات ضخمة من جيوش المانيا والنمسا بعد ان اتخذت الحرب طابع حرب المواقع وطالت مدتها، وعندما حاولت المانيا في شباط عام1916 ان تحطم فرنسا بالهجوم على قلعة فردان التي تحمي باريس، قامت القوات الروسية بشن هجوم كبير على

القوات الالمانية[88]، وفي 4 حزيران 1916 اخترقت القوات الروسية الدفاعات النمساوية – المجرية في غاليسيا واستطاعت اسر 200 الف مقاتل في بضعة أيام[89]،وفي 12 كانون الاول 1916 ارسلت المانيا مذكرة الى فرنسا وبريطانيا وروسيا مقترحة اجراء مفاوضات تكون قاعدة لعودة السلام الدائم، ولأنها لم تحتوي على شروط محددة للسلام فقد رفضها الحلفاء[90].

كان لدى القادة الالمان اعتقادا بان روسيا كانت البلد الأكثر احتمالا بين الدول الحليفة لان يشهد انهيارا داخليا، واعتقدوا ان ضعف روسيا كان في سوء القيادة والتنظيم أكثر منه في التخلف الاقتصادي والصناعي[91]. وقد أثبتت الأيام صحة هذا الاعتقاد إذ سرعان ما قامت في روسيا ثورة أطاحت بالنظام القيصري.

الثورة الروسية وسقوط النظام القيصري :

ازدادت الأوضاع الداخلية في روسيا سوءاً وتردت الحالة المعاشية للروس مع تزايد اعباء الحرب، وفي خلال شتاء 1916–1917 كان الجيش يعاني من مشاكل خطيرة، إذ سادت عدم الرغبة في مواصلة القتال بين جنوده وانتشرت حالات الهروب من الخدمة العسكرية بين صفوفه بعد أن أفتقد الى الضبط والتنظيم[92].

بدأت الاضطرابات يوم 8 آذار في بتروغراد العاصمة، وبدأت الإضرابات والمظاهرات تجوب الشوارع وتملأ الساحات، وانتشرت المنشورات والإعلام الحمراء، وفي يوم 11 آذار تمردت أحدى كتائب حامية بتروغراد ورفضت اطلاق النار على المتظاهرين،و بدأ تشكيل مجالس العمال والجنود (السوفييتات Soviets)، وبذلك بدأ العمل المنظم للثورة بعد ان كانت انطلاقتها عفوية وغير مخطط لها، ومع فشل القيصر نيقولا الثاني بالسيطرة على العاصمة وافق على التنازل عن العرش، وتألفت حكومة مؤقتة برئاسة الأمير جورج لفوف، واعترف الحلفاء بها، لاسيما ان حكومة لفوف أعلمت الحلفاء بانها لن تعقد صلحاً منفرداً بل تستمر بالحرب الى جانبهم، لكن البلاشفة هاجموا هذه الحكومة، ثم قاموا بثورة في 25 تشرين الأول (اكتوبر) 1917 حسب التقويم القديم لروسيا، بقيادة فلاديمير إليتش لينين، وقد تضمن برنامج البلاشفة : توفير الغذاء للجميع وإبرام صلح عاجل وتوزيع الأراضي على الفلاحين، وإقامة دكتاتورية عمالية[93].

وفي مواجهة دعاة الحرب تبنى البلاشفة شعار "صلح بلا ضم ولا تعويضات"فأصبحت الحرب حرب أصحاب رؤوس الأموال لا حرب الشعوب التي اكتوت بنارها وأصبحت وقود لها، وساد شعور طاغ بان الحروب تشن بدافع الاطماع الاستعمارية حتى قبل ان ينشر البلاشفة الاتفاقيات السرية في كانون الأول 1917[94].

كان هم الحلفاء الأساس عدم خروج روسيا من الحرب بعد ثورة اذار 1917، وقد اتصلوا حينها بزعيم الاحرار كيرنسكي يحضونه على عدم ايقاف الحرب، واستجاب ودفع القوات الروسية

للهجوم على الخطوط الالمانية والنمساوية في شمال روسيا وتقدمت القوات الروسية محرزة بعض الانتصارات، إلا ان الهجوم الالماني المقابل شتت القوات الروسية بسبب انتشار روح التمرد والعصيان، وتقدم الالمان وهددوا بتروغراد[95].

طلب البلاشفة من دول الوفاق الاشتراك معهم في مؤتمر يعقد للصلح، ولما لم يحصلوا على رد قاموا بنشر المعاهدات السرية التي عقدت فيما بينهم لاقتسام الدول وتوزيع المقاطعات ثم بدأوا المفاوضات مع دول الوسط في نهاية عام 1917 في مدينة بريست ليتوفسك الواقعة على الحدود البولندية الشرقية، وفي 3 آذار 1918 عقد الصلح بين الحكومة الروسية ودول الوسط، وتم الاتفاق على إخلاء اوكرانيا وفنلندة وترك بولندا وليتوانيا وكورلينا وبعض مناطق القفقاس لتقرر مصيرها بنفسها عملاً بمبدأ تقرير المصير، وأصبحت موسكو هي العاصمة الجديدة بدلا من بتروغراد، وبذلك انسحبت روسيا من الحرب العالمية الأولى[96].

ان أول خطوة قامت بها الحكومة السوفيتية في الشرق كانت في 20 تشرين الثاني 1917 ، إذ نشرت نداء موجه الى جميع العمال المسلمين في روسيا والشرق لتأييد الثورة الروسية، وأعلنت في هذا النداء إلغاء جميع الاتفاقيات السرية المعقودة بين روسيا القيصرية ودول الحلفاء على اقتسام الدولة العثمانية وبلاد فارس، وأعلنت في بيانها بهذا الصدد بأن " القسطنطينية (اسطنبول) يجب أن تبقى في أيدي المسلمين"[97] ،ونشرت الحكومة الروسية في التاريخ نفسه المعاهدات السرية الخاصة باقتسام الدولة العثمانية، ومن ضمنها اتفاقية سايكس بيكو. سارعت بريطانيا الى الأعلان على لسان وزير خارجيتها بلفور بأن ما نشرته الحكومة السوفيتية لم يكمن سوى تلفيق صادر عن البلاشفة[98]، وحين سلم الأتراك الى الشريف حسين نص هذه المعاهدة ، أنكرها البريطانيون وأكدوا له بأن هذه المعاهدة مزورة [99]. وبذلك انتهت الأطماع الروسية التوسعية في الدولة العثمانية ولتبدأ صفحة جديدة من نضال الشعب التركي والشعوب المنسلخة من الدولة العثمانية تجاه اطماع الدول الاستعمارية الجديدة.

الخاتمة

سعت روسيا القيصرية الى تعزيز مواقعها في الشرق الأدنى والأوسط، وكانت قضية المضايق وحرية الملاحة باتجاه البحار تجعل الأجواء مشحونة بينها وبين الدولة العثمانية والدول الأوروبية التي تخشى التوسع الروسي، وبذلك دخلت في حروب عديدة مع العثمانيين، واستطاعت قواتها ان تصل حدود العاصمة اسطنبول اكثر من مرة، إلا أن تدخل الدول الأوروبية ولاسيما بريطانيا ذات المصالح والتوجهات الكبيرة في الشرق والدولة العثمانية وخشيتها من ان تصبح روسيا اكثر قربا من طريق الهند وبذلك تهدد مصالحها في الشرق، جعلها تسعى الى تشتيت جهود روسيا وإشغالها.

ان تطلع روسيا القيصرية تجاه البلقان والمضايق جعلها تبادر الى نجدة الدولة العثمانية عندما هزمت جيوشها امام جيش محمد علي باشا حاكم مصر.

لقد وصف قيصر روسيا نيقولا الأول الدولة العثمانية بأنها رجل أوروبا المريض، وطرح على بريطانيا فكرة اقتسامها منذ عام 1844، فيما وصفت حكومته بأنها قطب الرحى للاستبداد في العالم.بعد حرب القرم، عادت روسيا للانضمام الى التحالفات الأوروبية وكان آخرها الوفاق الودي مع بريطانيا وفرنسا، وبذلك ربطت مصيرها مع اكثر الدول الاستعمارية نشاطا وتوسعا وخاضت الى جانبهما الحرب العالمية الأولى . وما يهمنا في هذا البحث هو مصير الدولة العثمانية التي تلخصت من الأطماع الروسية إلا أنها لم تتمكن من التخلص من أطماع الدول الأوروبية الأخرى لينتهي بها المطاف الى ضياع العديد من أجزاؤها لصالح هذه الدول.

الهوامش:

(1) روبير ماتران، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة :بشير السباعي، الجزء الأول، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1989، ص5 .

(2) ريدر بولارد، بريطانيا والشرق الأوسط من أقدم العصور حتى 1953، ترجمة: حسن أحمد السلمان، مطبعة الرابطة، بغداد، 1956، ص29 .

(3) عبد الحميد البطريق، تاريخ أوربا الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، مطبعة جامعة الرياض، الرياض، (د.ت)، ص198 .

(4) هربرت فيشر، أصول التاريخ الأوربي الحديث من النهضة الأوربية إلى الثورة الفرنسية، ترجمة: زينب عصمت راشد وأحمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف، القاهرة، 1970، ص365-366.

(5) عبد الحميد البطريق، المصدر السابق، ص199 .

(6) يبيفانوف وفيدوسوف، تاريخ الاتحاد السوفيتي، ترجمة: خيري الضامن ونقولا طويل، دار التقدم، موسكو، (د.ت)، ص199-200؛ ل.ج. شيني، تاريخ العالم الغربي، ترجمة: مجد الدين حفني ناصف، دار النهضة العربية، القاهرة، (د.ت)، ص252-253.

(7) هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية. المرحلة الأولى 1774-1856، بيت الحكمة، بغداد، 1990، ص27 .

(8) هربرت فيشر، المصدر السابق، ص366-367.

(9) هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ص30-31 .

(10) دونالد كواترت، الدولة العثمانية1700-1925، ترجمة: أيمن أرمنازي، مكتبة العبيكات، الرياض، 2004، ص104 .

(11) احمد ناطق إبراهيم العبيدي، مضائق البسفور والدردنيل 1774-1815 .دراسة تاريخية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية – ابن رشد، جامعة بغداد، 2003، ص58-59 .

(12) يبيفانوف وفيدوسوف، المصدر السابق، ص253-254 .

(13) ثريا فاروقي، الدولة العثمانية والعالم المحيط بها، ترجمة: حاتم الطحاوي، دار المدار الإسلامي، بنغازي-ليبيا، 2008، ص136-137؛

J. C. Hurewitz, Diplomacy in the Near And Middle East 1535-1914, Vol .II, New York, 1958, P.54-61.

(14) ثريا فاروقي، المصدر السابق، ص138 .

(15) يبيفانوف و فيدوسوف، المصدر السابق، ص254 .

(16) هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ص38-39 .

(17) ثريا فاروقي، المصدر السابق، ص67-68 .

(18) هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ص38؛ محمد عصفور سلمان الأموي، حركة الإصلاح في الدولة العثمانية وأثرها في المشرق العربي 1839-1908، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2005، ص9-10.

(19) اكمال الدين احسان أوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة: صالح سعداوي، مركز الابحاث والتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، 1999، ص75.

(20) يبيفانوف وفيدوسوف، المصدر السابق، ص256 .

(21) اكمال الدين احسان اوغلي، المصدر السابق، ص78 .

(22) هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ص50 .

(23) فاضل حسين وكاظم هاشم نعمة ، التاريخ الاوربي الحديث1815-1939،دار الكتب للطباعة والنشر ،الموصل،1982، ص9.

(24) المصدر نفسه، ص20-21.

(25) روبرت بالمر، تاريخ العالم الحديث.اوربا من 1740 الى 1815، ترجمة :حسن علي الذنون ،الجزء الثاني، بغداد، 1965، ص309-310.

(26) علي حيدر سليمان، تاريخ الحضارة الاوربية الحديثة، دار واسط، بغداد، 1990، ص220.

(27) هـ.أ.ل ، فشر، تاريخ اوربا في العصر الحديث1789-1950، ترجمة: احمد نجيب هاشم ،دار المعارف، القاهرة،1972،ص118-120.

(28) دار الكتب والوثائق القومية ، حرب المورة في الوثائق النمساوية، ترجمة: عبد الله محمد أبو هشة ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ،2009,ص5-8.

(29)جورج لنشوفسكي، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية، ترجمة: جعفر الخياط ،الجزءالاول، مكتبة دار المتنبي، بغداد،1964 ,ص33-35.

(30) كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر ,مكتبة اليقظة، بغداد، 1985، ص66.

(31) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1977,ص658-660.

(32) كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص72.

(33) هـ.أ. ل .فشر، تاريخ اوربا في العصر الحديث1789-1950 ، ص128-129.

(34) يبيفانوف وفيدوسوف، المصدر السابق، ص338.

(35) هـ.أ.ل. فشر، تاريخ اوربا في العصر الحديث1789-1950 ، ص145-146.

(36) علي حيدر سليمان، المصدر السابق، ص314-316.

(37) أي.جي. تايلر، الصراع على السيادة في أوربا1848-1918، ترجمة :كاظم هاشم نعمة ويوئيل يوسف عزيز، بغداد، 1980، ص26-27 .

(38) المصدر نفسه، ص34 .

(39) المصدر نفسه، ص39 .

(40)هـ.أ.ل. فشر، تاريخ اوربا في العصر الحديث1789-1950 , ص211 .

(41) المصدر نفسه، ص218 .

(42) هاشم صالح التكريتي، دراسات في المسألتين الشرقية والمغربية ,بغداد، 2010، ص126-127.

(43)هـ.أ.ل. فشر، تاريخ اوربا في العصر الحديث1789-1950 ، ص219-220 .

(44)أي.جي. تايلر، المصدر السابق، ص79 ؛ جورج لنشوفسكي ، المصدر السابق، الجزءالاول، ص39-40.

(45) يبيفانوف وفيدوسوف، المصدر السابق، ص341-342 .

(46)هـ.أ.ل. فشر، تاريخ اوربا في العصر الحديث1789-1950 ، ص221 .

(47) يبيفانوف وفيدوسوف، المصدر السابق، ص343-348 ؛روبير مانتران,المصدر السابق،ص135.

(48) أحمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، القاهرة،1982،ص208-210..

(49)يبيفانوف و فيدوسوف، المصدر السابق، ص225.

(50)علي حيدر سليمان، المصدر السابق، ص319 .

(51) فلاديمير الينتش لينين(1870-1924)قائد الثورة ومؤسس الاتحاد السوفيتي السابق .ولد في عام 1870في بلدة سمبرسك بروسيا من عائلة متوسطة الدخل تخرج لينين عام 1891في جامعة سانت بطرسبورغ حاملا شهادة القانون .يعد المؤسس الحقيقي للحزب الشيوعي الروسي وفي اعقاب الثورة الروسية الشيوعية عام 1917 سيطر على جناحه المسمى البولشفيك (الاكثرية).توفي في روسيا عام 1924.عبد الوهاب الكيالي واخرون ،الموسوعة السياسية ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،1974،ص461.

(52) نقلاً عن : يبيفانوف و فيدوسوف ، المصدر السابق، ص349.

(53) كامران احمد محمد امين، السياسة الدولية في ضوء فلسفة الحضارة.دراسة تحليلية نقدية، دار المعرفة، بيروت، 2009، ص517 .

(54)يبيفانوف و فيدوسوف ، المصدر السابق، ص398-399؛هاشم صالح التكريتي،المسألة الشرقية.المرحلة الاولى1774-1856,ص206-207.

(55)هـ،أ.ل. فشر، تاريخ اوربا في العصر الحديث1789-1950، ص361 .

(56) علي حيدر سليمان، المصدر السابق، ص320 .

(57)يبيفانوف و فيدوسوف ، المصدر السابق، ص400-406 .

(58) علي محمد محمدالصلابي، الدولة العثمانية. عوامل النهوض والسقوط، دار المعرفة، بيروت، 2006، ص446-447 .

(59) نقلاً عن : أندره موروا، بريطانيا في عهد الملكة فكتوريا. سيرة دزرائيلي، ترجمة :متري نعمان، المنشورات العربية، باريس، (د.ت)، ص320 .

(60) المصدر نفسه، ص327 .

(61)هـ،أ.ل. فشر ، تاريخ اوربا في العصر الحديث1789-1950، ص370-371 .

(62) أندره موروا، المصدر السابق، ص326 .

(63)هـ،أ.ل. فشر, تاريخ اوربا في العصر الحديث1789-1950، ص371 .

(64) المصدر نفسه، ص390 .

(65)يبيفانوف و فيدوسوف ، المصدر السابق، ص408 .

(66)هـ،أ.ل. فشر، تاريخ اوربا في العصر الحديث1789-1950، ص399-400 .

(67) بول كنيدي، نشوء وسقوط القوى العظمى، ترجمة: مالك البديري،الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، (د.ت) ، ص354 .

(68) بيير رونفن، تاريخ القرن العشرين، ترجمة: نور الدين حاطوم، دار الفكر، مركز الوثائق الجامعية، باريس، 1980، ص20 .

(69) بول كنيدي، المصدر السابق، ص355-360 .

(70) بيير رونفن، المصدر السابق، ص32-33.

(71)أي.جي. تايلر، المصدر السابق، ص571 .

(72) المصدر نفسه، ص573 .

(73) يبيفانوف و فيدوسوف ، المصدر السابق، ص554.

(74) فاضل حسين وكاظم هاشم نعمة، المصدر السابق، ص171-173 .

(75) براين بوند، الحرب والمجتمع في أوربا 1870–1970، ترجمة: سمير عبد الرحيم الجلبي، دار المأمون للترجمة والنشر،بغداد ، 1988، ص107 .

(76)أي.جي. تايلر، المصدر السابق، ص586–587 .

(77) براين بوند، المصدر السابق، ص101 .

(78) فاضل حسين وكاظم هاشم نعمة, المصدر السابق، ص174–175 .

(79) بيير رونفن، المصدر السابق، ص52 .

(80)أي.جي. تايلر، المصدر السابق، ص597 .

(81) يبيفانوف و فيدوسوف ، المصدر السابق، ص557 .

(82)أي.جي. تايلر، المصدر السابق، ص599 .

(83) المصدر نفسه، ص607 .

(84)عبد الفتاح ابراهيم ، على طريق الهند،دار الشؤون الثقافية،بغداد،2004, ص229–230

(85) بيير رونفن، المصدر السابق، ص59–60.

(86)أي.جي. تايلر، المصدر السابق، ص606 .

(87) يبيفانوف و فيدوسوف ، المصدر السابق، ص555–556 .

(88) براين بوند، المصدر السابق، ص119؛ يبيفانوف وفيدوسوف، المصدر السابق، ص558.

(89) براين بوند، المصدر السابق، ص125 .

(90) فاضل حسين وكاظم هاشم نعمة، المصدر السابق، ص190 .

(91) لوتوتسكي وآخرون، الجيش السوفيتي، ترجمة: خيري الضامن ، دار التقدم ، موسكو ،(د.ت) ، ص13–16.

(92) ليلتشوك، بوليـاكوف ، بروتوبوبـوف، مـوجز تـأريخ المجتمـع السـوفيتي، دار التقـدم ، موسكو،1973،ص9–15.

(93) فاضل حسين وكاظم هاشم نعمة، المصدر السابق، ص195–196؛ هـ.ا.ل.فشر، تاريخ اوربا في العصر الحديث1789–1950، ص526 .

(94) أي.جي.تايلر، المصدر السابق، ص633 .

(95) عبد الحكيم عبد الغني قاسم، العلاقات الدولية بين أوربا والشرق 1789–1919، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2009، ص312 .

(96) علي حيدر سليمان، المصدر السابق، ص378 ؛ وليام غاي كار ، احجار على رقعة الشطرنج ، ترجمة: سعيد جزائرلي ، دار النفائس ، بيروت،2000, ص190–191.

(97) ولتر لاكور، الأتحاد السوفيتي والشرق الأوسط ، ترجمة: لجنة من الأساتذة الجامعيين ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر،بيروت، 1959،ص18-19.

(98)لوتسكي، تاريخ ألأقطار العربية الحديثة، ترجمة: عفيفة البستاني دار التقدم ، موسكو ،1971 ،ص468-469.

(99) فاسيلييف ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، ترجمة : خيري الضامن وجلال الماشطة ، دار التقدم ، موسكو،1986, ص290.

المصادر

اولا:الكتب العربية والمعربة

1. أكمال الدين أحسان أوغلي ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ،ترجمة: صالح السعداوي ،مركز الأبحاث والتاريخ والفنون والثقافة الأسلامية ، استانبول،1999.
2. أندره موروا، بريطانيا في عهد الملكة فكتوريا. سيرة دزرائيلي، ترجمة :متري نعمان، المنشورات العربية، باريس، (د.ت).
3. أي.جي. تايلر، الصراع على السيادة في أوربا1848-1918، ترجمة: كاظم هاشم نعمة ويوئيل يوسف عزيز، بغداد، 1980.
4. براين بوند، الحرب والمجتمع في أوربا 1870-1970، ترجمة: سمير عبد الرحيم الجلبي، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد، 1988.
5. بول كنيدي، نشوء وسقوط القوى العظمى، ترجمة :مالك البديري، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، (د.ت).
6. بيير رونفن، تاريخ القرن العشرين، ترجمة: نور الدين حاطوم، دار الفكر، مركز الوثائق الجامعية، باريس، 1980.
7. ثريا فاروقي ,الدولة العثمانية والعالم المحيط بها,ترجمة :حاتم الطحاوي ،دار المدارالاسلامي،بنغازي-ليبيا،2008.
8. دار الكتب والوثائق القومية، حرب المورة في الوثائق النمساوية، ترجمة: عبد الله محمد ابو هشة وآخرون ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2009.
9. دونالد كواترت ، الدولة العثمانية 1700-1922 ، ترجمة: ايمن ارمنازي، مكتبة العبيكات ، الرياض، 2004.

10. روبرت بالمر، تاريخ العالم الحديث. أوربا من 1740 إلى 1850 ميلادية، ترجمة: حسن علي الذنون، الجزء الثاني، بغداد، 1965 .
11. روبيرماتران ، تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة: بشير السباعي،الجزء الاول، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ،1989.
12. ريدر بولارد ، بريطانيا والشرق الأوسط من أقدم العصور حتى 1953، ترجمة :حسن أحمد السلمان، مطبعة الرابطة، بغداد،1956.
13. عبد الحكيم عبد الغني قاسم، العلاقات الدولية بين اوربا والشرق 1789–1919، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2009.
14. عبد الحميد البطريق ، تاريخ أوربا الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا، مطبعة جامعة الرياض،الرياض،(د.ت).
15. عبد الفتاح ابراهيم ، على طريق الهند، دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد ،2004.
16. عبد الوهاب الكيالي واخرون ،الموسوعة السياسية،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،1974.
17. علي حيدر سليمان، تاريخ الحضارة الأوربية الحديثة، دار واسط، بغداد، 1990.
18. علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية. عوامل النهضة والسقوط، دار المعرفة، بيروت، 2006 .
19. فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، ترجمة: خيري الضامن وجلال الماشطة، دار التقدم، موسكو، 1986.
20. فاضل حسين وكاظم هاشم نعمة، التاريخ الأوربي الحديث 1815–1939، دار الكتب للطباعة والنشر, الموصل، 1982.
21. كامران احمد محمد أمين، السياسة الدولية في ضوء فلسفة الحضارة. دراسة تحليلية نقدية، دار المعرفة، بيروت، 2009.
22. كمال مظهر أحمد، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، مكتبةاليقظة، بغداد، 1985.
23. ل.ج. شيني ، تاريخ العالم الغربي ، ترجمة : مجد الدين حفنى ناصف ، دار النهضة العربية، القاهرة،(د.ت).
24. لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة :عفيفة البستاني، دار التقدم، موسكو، 1971.

25. ليلتشـــوك ، بوليـــاكوف، بروتوبوبوف،مـــوجز تـــاريخ المجتمـــع الســـوفيتي،دار التقـــدم ،موسكو،1973.
26. هـ. أ. ل. فشر، تاريخ اوربا في العصر الحديث 1789–1950، ترجمة : نجيب هاشم ووديع الضبع، دار المعارف، القاهرة، 1993.
27. هاشم صالح التكريتي ، المسألة الشرقية . المرحلة الأولى 1774–1856 ، بيت الحكمة ،بغداد ،1990.
28. هاشم صالح التكريتي، دراسات في المسألتين الشرقية والغربية، بغداد ،2010.
29. هربرت فيشر، أصول التاريخ الأوربي الحديث من النهضة الأوربية الى الثورة الفرنسية، ترجمة: زينب عصمت راشد وأحمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف ، القاهرة ،1970.
30. ولتر لاكور، الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط ، ترجمة: لجنة من ألأستاذة الجامعين, منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ،1959.
31. وليام غاي كار، أحجار على رقعة الشطرنج، ترجمة: سعيد جزائرلي، دار النفائس، بيروت،2000.
32. يبيفانوف وفيدسوف، تاريخ الأتحاد السوفيتي، ترجمة:خيري الضامن ونقولا الطويل،دار التقدم، موسكو،(د.ت).

ثانيا :الرسائل الجامعية:

1. احمد ناطق ابراهيم العبيدي، مضائق البسفور والدردنيل 1774–1815. دراسة تاريخية، رسالة ماجستير (غير منشورة)،كلية التربية –ابن رشد ,جامعة بغداد ،2003.
2. محمد عصفور سلمان، حركة ألأصلاح في الدولة العثمانية وأثرها في المشرق العربي 1839–1908 ، اطروحة دكتوراه(غير منشورة) ، كلية الآداب،جامعة بغداد،2005.

ثالثا: الكتب الأجنبية

1. J.C. Hurewitz,Diplomacy in the near and Middle East 1535-1914 ,vol.11,New York,1958.